المحاضرة الخامسة
معجم لسان العرب لابن منظور

1- التعريف بصاحب المعجم

هو محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، وهو أديب ومؤرّخ وعالم في الفقه الإسلامي واللغة العربي، ولد في محرم سنة 630 هـ/ 1232 م، واختلفت الأقاويل حول مكان ولادته، فقيل بقفصة تونس، وقيل بطرابلس ليبيا، وقيل بمصر.

تتلمذ على يد عبد الرحمن بن الطفيل، ومرتضى بن حاتم، ويوسف المخيلي، وأبو الحسن علي بن المقير البغدادي، والعالم الصابوني. خدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة، ثم ولي القضاء في طرابلس. عمي في آخر عمره وتوفي في مصر في شعبان سنة 711 هـ/1311 م.

خلف ابن منظور مكتبة ضخمة ونفيسة أهمها معجم لسان العرب، كما قام بوضع اختصارات لعدد من الكتب، حيث يُذكر في هذا المجال أنّ له: مختار (الأغاني)، ومختصر (تاريخ بغداد) للخطيب التبريزي، ومختصر (تاريخ دمشق) لابن عساكر ، ومختصر (زهرة الآداب وثمرة الألباب) للحصري، ومختصر (يتيمة الدهر) للثعالبي، ومختصر (العقد الفريد)

2- التعريف بمعجم لسان العرب:

لسان العرب هو معجم لغوي عربيّ، وهو أشمل معاجم اللغة العربية وأكبرها، حيث يضُمّ أكثر من 80 ألف مادّة. وقد صدر المعجم بمقدمة تقع في حوالي 03 صفحات، افتتحها بحمد الله والثناء عليه، ثمّ راح يتحدّث عن شرف اللغة العربية وارتباطها بالقرآن الكريم، معرّجا نحو توضيح منهجه في تأليف الكتاب، ودوافع ذلك، ليعرج تعريجا خفيف نحو تفسير الحروف المقطّعة في بعض أوائل سور القرآن الكريم والحديث عن ألقاب حروف وطبائعها وخواصها ودلالاتها واستخداماتها. وقد انتهى ابن منظور من تألف معجمه سنة 690 م.

3- سبب تأليف المعجم:

ذكر ابن منظور في المقدّمة الدافع في تأليف هذا المعجم، حيث قال : «وَإِنِّي لم أزل مشغوفا بمطالعات كتب اللُّغَات والاطلاع على تصانيفها، وَعلل تصاريفها؛ وَرَأَيْت علماءها بَين رجلَيْنِ، أمّا من أحسن جمعه فَإِنَّهُ لم يحسن وَضعه، وَأما من أَجَاد وَضعه فَإِنَّهُ لم يُجد جمعه، فَلم يُفد حسنُ الْجمع مَعَ إساءة الْوَضع، وَلَا نَفَعت إجادةُ الْوَضع مَعَ رداءة الْجمع"[1]. وهكذا أراد المؤلّف أن يجمع بين الحسنين، حسن الوضع، وحسن الجمع؛ أي سلامة العرض من حيث التبويب والتنظيم، والاستيعاب والاستعصاء، ورغم أنّه لم ير أجمل من تهذيب اللغة لأبي مَنْصُور مُحَمَّد بن أَحْمد الْأَزْهَرِي، وَلَا أكمل من الْمُحكم لأبي الْحسن عَليّ بن إِسْمَاعِيل ابن سِيْدَهْ الأندلسي، غير أنّ كلا منهما قد اتسّم- حسب رأيه- بالصعوبة والوعورة من خلال تركيزهما على التصنيفات فهذا الثنائي وذاك المضاعف والمقلوب، وذيّاك المعتل والرباعي والخماسي، مما نفّر الناس منهما، ومن نحا نحوهما[2]. وهكذا يكشف ابن منظور سبب وضعه لمعجمه، حيث أراده أن يخالف المعاجم السابقة في حسن العرض، مبتعدا عن التعقيد والتلبيس.

---

[1] - لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1968م، ج01، المقدمة، ص07.

[2] - ينظر: لسان العرب، ج01، المقدمة، ص07 و08. يقول ابن منظور في المقدمة: "ولم أجد في كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن احمد الأزهري، ولا أكمل من المحكم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي، رحمهما الله، وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق، وما عداهما بالنسبة اليهما ثنيات للطريق. غير أن كلا منهما مطلب عسر المهلك ومنهل وعر المسلك، وكان واضعه شرع للناس موردا عذبا وجلاهم عنه، وارتاد لهم مرعى مربعا ومنعهم منه، قد أخر وقدم،= وقصد أن يعرب فأعجم. فرق الذهن بين الثنائي

4- مصادر المعجم:

وقد جمع ابن منظور في معجمه الخالد هذا بين أمهات المعجمات العربية الخمسة السابقة عليه، فجمع بين "تهذيب اللغة" للأزهري، و"المحكم" لابن سيده، و"الصحاح" للجوهري، و"حاشية الصحاح" لابن بري، و"النهاية في غريب الحديث" لعز الدين بن الأثير، ولم يذكر "جمهرة اللغة" لابن دريد، مع أنه رجع إليها كثيرا.

ولقد أبان ابن منظور باللفظ الصريح أنّه قد أخذ من كتب السابقين، فلم يزد عنها ولم ينقص؛ حيث قال: "وليس لي في هذا الكتاب فضيلة أمت بها، ولا وسيلة أتمسك بسببها، سوى أني جمعت فيه ما تفرق في تلك الكتب من العلوم، (...) فمن وقف فيه على صواب أو زلل، أو صحة أو خلل، فعهدته على المصنف الأول، وحمده وذمه لأصله الذي عليه المعول. لأنني نقلت من كل أصل مضمونه، ولم أبدل منه شيئا، (...)، بل أديت الأمانة في نقل الأصول بالنّصّ، وما تصرفت فيه بكلام غير ما فيها من النّصّ، فليعتد من ينقل عن كتابي هذا أنه ينقل عن هذه الأصول الخمسة، وليغن عن الاهتداء بنجومها فقد غابت لما أطلعت شمسه"[3].

كما يشير في الموضع نفسه إلى أنّه لم يرجع في جمع مواد معجمه إلى العرب الفصحاء، حيث قال: "وانا مع ذلك لا أدعي فيه دعوى فأقول شافهت أو سمعت، أو فعلت أو صنعت، أو شددت أو رحلت، أو نقلت عن العرب العرباء أو حملت، فكل هذه الدعاوى لم يترك فيها الأزهري وابن سيده لقائل مقالا، ولم يخليا فيه لاحد مجالا، فإنهما عينا في كتابيهما عمن رويا، وبرهنا عما حويا، ونشرا في خطيهما ما طويا. ولعمري لقد جمعا فأوعيا، وأتيا بالمقاصد ووفيا"[4].

5- منهج المعجم:

1- سلك ابن منظور في لسان العرب مسلك ونهج الجوهري في الصّحاح[5]، حيث اعتمد الترتيب الهجائي في حروف الكتاب.

2- بنى أبواب الكتاب على الحرف الأخير من الكلمة، ثم الحرف الأول فالثاني وهكذا، وأول الأبواب هو ما ينتهي بالهمزة؛ فكلمة (بأبأ) تجدها في باب (الهمزة)، في فصل (الباء)، وكَلِمة (ضرب) تجدُها في باب (الباء)، فصل (الضاد)، وكلمة (اتحاد) إذا جرّدتها من الزوائد تصبح (وَحَدَ) ، فتجدها في باب (الدال)، فصل (الواو).

3- اعتمد ابن منظور على تجريد الكلمة من الزوائد؛ مثل حروف العلة.

4- ردُّ الكلمة إلى أصلها؛ وهو الفعل الماضي إن كانت فعلا، والاسم المفرد ان كانت اسما.

7- المآخذ على المعجم:

لا شك أن الاتساع الكبير في شرح مواد اللغة الذي لجأ إليه ابن منظور في كتابه لسان العرب قد أدى إلى وقوعه في بعض المآخذ التي يمكن إيجازها فيما يلي:

والمضاعف والمقلوب، وبدد الفكر باللفيف والمعتل والرباعي والخماسي فضاع المطلوب، فأهمل الناس أمرهما، وانصرفوا عنهما، وكادت البلاد لعدم الاقبال عليهما أن تخلو منهما، وليس لذلك سبب إلا سوء الترتيب، وتخليط التفصيل والتبويب".

[3] - لسان العرب، ج01، ص03

[4] - المصدر نفسه، ص ن.

[5] - يقول ابن منظور في المقدمة: "ورأيت أبا نصر إسماعيل بن حماد الجوهري قد أحسن ترتيب مختصره، وشهره، بسهولة وضعه، شهرة أبي دلف بين بادية ومحتضره، فخف على الناس أمره فتناولوه، وقرب عليهم مأخذه فتداولوه وتناقلوه، غير أنه في جو اللغة كالذرة وفي بحرها كالقطرة، وان كان في نحرها كالدرة، وهو مع ذلك قد صحف وحرف، وجزف فيما صرف، فاتيح له الشيخ أبو محمد بن بري فتبع ما فيه، وأملي عليه أماليه، مخرجا لسقطاته، مؤرخا لغلطاته".

1- الفوضى في داخل المواد، مثلاً مادة (طرق) يبدأ ابن منظور بالاسم : الطرق، والطرّاق، والطوارق. ثم يعود إلى الفعل فيقول: وطرق، يطرقه، طرقاً. ثم يعود إلى الاسم على غير نظام . أما الصيغ الواردة في مادة (ح ب ج) فهي الفعل (حبج)، ثم الاسم (الحبج)، ثم الفعل (أحبج)، فالاسم (الحوبجة).
2- التكرار في شرح بعض الألفاظ، والتكرار في ذكر الشواهد.
3- إهماله لكثير من المعاني بالرغم من رجوعه إلى كثير من المصادر، فقد فاته من العين والجمهرة كثير من الصيغ والمعاني التي أهملها.
4- إهمال المراجع الكبيرة المهمة أمثال الجمهرة لابن دريد والبارع للقالي والمقاييس لابن فارس والمحيط لابن عبّاد والعباب للصاغاني وغيرها.
5- فاته كثير من الصِّيغ والشواهد التي ذكرت في كتاب العين، والجمهرة، والبارع، وغيرها من المعاجم.

6- أهمية المعجم:

لا مناص من القول أنّ لسان العرب هو أوسع المَعَاجم على الإطلاق، فهو موسوعة لغوية وأدبية لغزارة مادته العلمية واستقصائه واستيعابه لجلّ مفردات اللغة العربية. وهو من أغنى المعاجم بالشواهد، وهو جيد الضبط ويعرض الروايات المتعارضة ويرجح الأقوال فيها. ويذكر المعجم ما اشتق من اللفظ من أسماء القبائل والأشخاص والأماكن وغيرها. ويهتم ابن منظور في كتابه بغريب اللغة والأحاديث والآثار، وتفسير القرآن أيضًا، ويهتم بمسائل النحو والصرف العَروض[6].

وَقد عُني بالكتاب الكثيرُ من العُلماء عَلى مرّ العُصور، واستفاد منه المتعلمون والعلماء جميعًا، كما اعتنى بنسبة الأشعار إلى أصحابها، حتى إنه لَيُعَدُّ مرجعًا مهما في ذلك. وفي هذا الشأن يقول البعلبكي: "يُعتبر أشهر المعاجم العربية غيرَ مُنازَع، لضخامة مادته، ولاشتماله على مجموعة كبيرة من الشواهد الصحيحة التي استقاها من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ومن أمثال العرب وأشعارها"

8- طبعات المعجم:

طُبع المعجم مرات عديدة أوَّلُها كان بدار الأميرية بالقاهرة المعروفة بمطبعة بولاق سنة 1330هـ/ 1892م في 20جزءا. وقد جاءت بعض الطبعات بعد ذلك في 15 مجلداً مثل طبعة دار صادر في بيروت سنة 1374هـ/1955م،. كما صدر اللسان في حلّة عصرية جديدة عن دار لسان العرب في بيروت عام 1970م في 03 مجلدات ضخمة تحت اسم (لسان العرب المحيط) بتحقيق كلّ من يوسف خياط ونديم مرعشلي الّذين قاما بإعادة بناء المعجم على الحرف الأول من الكلمة وأضافا إليه جميع المصطلحات العلمية التي أقرتها المجامع العلمية. كما قامت دار المعارف بمصر بطبع المعجم في طبعة جيدة سنة 1998م وقام بالتحقيق ثلة من الأساتذة هم عبد الله على الكبير ، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلى ومن أحدث الطبعات للمعجم طبعة دار إحياء التراث العربي في بيروت وقد صدرت في 18 مجلداً ثلاثة منها للفهارس، وقد اعتمدت على تنظيم المواد على الترتيب الأبجدي.

[6] - يقول ابن منظور فى المقدّمة: " فاستخرت الله سبحانه وتعالى فى جمع هذا الكتاب المبارك، الذي لا يساهم فى سعة فضله ولا يشارك، ولم أخرج فيه عما فى هذه الأصول، ورتبته ترتيب الصحاح فى الأبواب والفصول، وقصدت توشيحه بجليل الاخبار، وجميل الآثار، مضافا إلى ما فيه من آيات القرآن الكريم، والكلام على معجزات الذكر الحكيم، ليتحلى بترصيع دررها عقده، ويكون على مدار الآيات والاخبار والآثار والأمثال والاشعار حله وعقده".